تحريات أثرية بمنطقة بني ورثيلان

بولاية سطيف

د. محمد الطيب عقاب ، د.خديجة نشار، د.عائشة حنفي
معهد الآثار – جامعة الجزائر 2

أولا:الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة بني ورثلان:

1-الإطار الجغرافي:

أ- الموقع :

تقع منطقة بني ورثلان في الجهة الشمالية الغربية على بعد 77 كلم شمال غرب ولاية سطيف، تعتبر المنطقة جبلية متوسط ارتفاعها يتراوح مابين 100م إلى 1200م. تحيط بالمنطقة مجموعة من الجبال منها : أزرو يفلان (الجبل المثقوب 1380م) جبل رأس أقوف. يحد منطقة بني ورثلان من الشرق بلدية عين لقراج ومن الغرب ولاية بجاية وشمالا بلدية بني شبانة ، ومن الجنوب ولاية برج بوعريريج .(انظر خريطة رقم 01)

خريطة رقم 01 موقع بني ورثيلان

2-الإطار التاريخي:

لا يوجد بمنطقة بني ورثيلان دلائل مادية و لا معلومات عن فترات ما قبل التاريخ و هذا راجع ربما لانعدام التحريات الميدانية و الدراسات الأثرية و لكن ما هو معلوم هي أنها عرفت التوطن البشري منذ القدم، و مما لا شك فيه أن البربر هم أول السكان الذين استوطنوا بلاد المغرب ككل، و مع قدوم الفينيقيين، حدث تبادل فيما بينهم، ساعد على تدعيم العلاقات البربرية الفينيقية ليس فقط في المجال الاقتصادي، بل الحضاري أيضا.[1]

[1]الناضوري(رشيد)، تاريخ المغرب الكبير، العصور القديمة: أسسها التاريخية الحضارية و السياسية،ج1،دار النهضة العربية، بيروت،1981،ص ص،247-248.

أما الفترة الليبية، فقد تركت لنا العديد من المخلفات الثرية المتمثلة في شواهد القبور و كتابات ليبية وجدت في عدة جهات، منها نقيشة تم العثور عليها في بوقاعة(la fayette)سابقا، و أخرى أثناء إنشاء الطريق الرابط بين بوقاعة و سوق بني ورثيلان.[2]

كانت المنطقة تابعة مثل سطيف للمملكة الماسيسيلية على الضفة الغربية من وادي لمصاقة أي (وادي الرمال حاليا)، كما تعاقبت على المنطقة عدة حضارات أخرى مثل التي عرفتا كل من بجاية و سطيف و برج بوعرريج و التي ساهمت في كل التغيرات السياسية و التاريخية و منها الحضارة الرومانية حيث أصبحت تمثل منطقة إستراتيجية تربط بين موريتانيا السطايفية و موريتانيا القيصرية. ثم عرفت الوندال الذين مكثوا لفترة قصيرة ليحل محلهم البيزنطيين. و من أبرز المواقع التي تعود إلى الفترة القديمة نجد موقع إغرمان الأثري ببلدية عين لقراج و يتمثل في بقايا كنيسة بيزنطية حسب ما قال Louis Leshi[3] و يؤكد أن الحفريات التي أقيمت تحت إشراف بونال Bnnell و بقيادة السيد مونتلاهيك Montalhuc إبان العهد الاستعماري أفضت إلى العثور على ضريح به بقايا عظمية. و يضم الموقع إلى جانب الكنيسة عدة قبور و بقايا فخارية و أطلال مباني سكنية تكاد تختفي معالمها. كما نجد بقرية الشرفة أوفلا ، أطلال لمباني قديمة (أحجار مصقولة، بقايا فخارية) و بقايا لقطع نقدية محفوظة بمتحف بني ورثيلان و الذي يحتفظ بالعديد من البقايا التي تعود إلى الفترات القديمة و التي تنتظر من ينفض الغبار عليها و عند بعض الأهالي.[4]

أما عن الفترة الإسلامية فالمعلومات هي الأخرى شحيحة فبعد اضمحلال الحكم البيزنطي، بدأت الفتوحات الإسلامية و التي يعتقد أنها كانت سنة 59هـ/678م، و قد كان ذلك في حملة عقبة بن نافع الثانية حين فتح منطقة الزاب[5] .و قد برزت الفترة الإسلامية في هذه المنطقة منذ العهد الحمادي بحكم قربها من العاصمة بجاية الناصرية[6] ، إلى أن بد العلماء يهجرونها منذ بداية القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي(915هـ/1510) فأخذ ضوءها يخفت و يتوارى بفعل عدة أسباب منها التحرشات الأوروبية المتمثلة في الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية، و كان نصيب بجاية كبيرا منها مما أدى إلى نزوح عدد كبير من الشيوخ و طلبة العلم نحو الداخل و الاحتماء بالجبال محاولين بذلك إنقاذ ما يحملونه من علم.فأسسوا قرىبها مراكز للعلم كالمساجد، و الزوايا، و المدارس.[7] تمثل هذه المرحلة الوجود العثماني الذي تمركز بمدينة قسنطينة بالشرق الجزائري و العلاقة تمثلت في إيفاد قواد

---

[2] Chabot(J.B) « ,inscriptions libyques de la region de Sétif », in B.S.H.G.R.S,TII,1941,pp27-34.

[3] Leschi(Louis), « Une excursion archéologique dans le Guergour(été 1938) »in etude d'épigraphie d'archéologie et d'histoire Africaine, Paris, Arts et Métiers graphique,p344.

[4] Ibid,p 336-347.

[5] الجيلالي(عبد الرحمن محمد)،تاريخ الجزائر العام،ج1،ط4،دار الثقافة بيروت،1400هـ/1982م،ص 128.

[6] الناضور(رشيد)، المرجع السابق، صص247-248.

[7] ظريف(أحمد)،قراءةفي الرحلة: سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني، رابطة أهل القلم،مطبعة دار هومة، 849هـ/2005م،ص 15-20

يجمعون الضرائب و يخمدون الثورات المحلية التي كانت تنشب من حين لآخر إلى غاية سنة 1830 تاريخ بداية الاحتلال الفرنسي.[8]

كافحت منطقة بني ورثيلان كغيرها من مناطق الوطن و كافحت الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الوطن فشاركت في جل المقاومات الشعبية و التي منها:

-مشاركة العديد من الأهالي في الدفاع عن مدينة سطيف عندما دخلها الفرنسيون بتاريخ 15ديسمبر1838م.

-قاوت المنطقة المستعمر سنة 1842م في ثورة عارمة بقيادة **أحمد أغبولين.أخمدت من طرف الفرنسيين بقيادة الجنرال بودو** (BEDEAU).

-شارك أهالي بني ورثيلان في سنة 1851م في الثورة الشعبية بقيادة **بو بغلة.**

-ينظم الشيخ المقراني ثم الشيخ الحداد في سنة 1871م مقاومة من جديد لتصطف حولهما معظم قبائل المنطقة[9].

-عانت المنطقة من ويلات الاستعمار الفرنسي من قصف و قتل و تشريد و تدمير و إحراق القرى و المداشر و جعلها مناطق محرمة و من بين أكبر المعارك نذكر معركة وادي بوسلام التي اندلعت صبيحة يوم 30ماي 1956من و كانت واسعة النطاق شملت العديد من القرى و دامت من الساعة السادسة صباحا إلى غاية السابعة و النصف مساءا و غيرها من المعارك التي أعدمت فيها فرنسا الرجال و النساء و الأطفال رميا بالرصاص دون أي رأفة و لا شفقة .

و كان لمثل هذه الأعمال الشنيعة نتائج تمثلت في :

-جمع السكان في محتشدات مسيجة بأسلاك شائكة.

- نزع الأراضي من أصحابها الأصليين و منحها للمواليين للمستعمر و الخونة،بالإضافة إلى الاستيلاء على مكتبات الزوايا و إحراقها.-تحويل بعض الزوايا و المساجد إلى ثكنات و مراكز للعدو.

-بناء عدة ثكنات عسكرية بالمنطقة.

ثانيا:النسيج العمراني لقرى بني ورثيلان:

المسكن التقليدي في منطقة القبائل أو القرى عموما ما تقع فوق قمم الجبال والمرتفعات أو الهضاب وهذا راجع لبعدين هامين أولهما البعد الطبيعي (الفيضانات و غيرها) و ثانيهما البعد الأمني ، و تأخذ أماكن مرتفعة وتتحكم في تشكيله موقعه الطبيعي ، كما هو الحال في قرى بني ورثلان ، إذ تقع على شفعة صخرية و تتشكل هذه القرية من عدة منازل متشابهة تقريبا من حيث الشكل محاطة بأسوار مبنية من

[8] Servier(Jean),Les berbères,2ème édition, Alger, ed Dahlab,1990,pp41-65.

[9] يذكر السيناتوسر كونسيلت عن قبيلة بني ورثيلان فيقول: أنها شاركت في هذه الثورة، و قد تعرض أهاليها من جراء ذلك للنفي و السلب و كانت الأرض أغلى الثروات المسلوبة أنظر: Arêtes d'homologation du 31 juillet 1899,p30

الحجارة و تمد أبوابها الخارجية إلى الشارع كما توجه المساكن إلى جهة الشرق حتى تتمكن الشمس من الدخول إلى المنزل كما أن المساكن مكونة من أقسام و ملاحق تتكرر في المساكن المجاورة لها وهذا دليل على أن المساكن التقليدية الريفية بالمنطقة بسيطة و متواضعة من حيث تخطيطها المعماري و شكلها المنظم و الموحد ، مسقفة بالقرميد الأحمر المائل إلى الأصفر و البرتقالي. للقرى بالمنطقة عادة ثلاث مداخل رئيسية والتي تعتبر الأبواب الثلاث للقرية ، وعلى كل باب هناك ما يسمى بأعساس ، وتعتبر أيضا مدخل الطرقات الرئيسية للقرية التي تلتقي في الساحة العامة للقرية التي تدعى أزنيق و يتواجد المسجد (الجامع الكبير) و ثاجمعث ، ونجد الجامع كذلك على طرف القرية أو حدود القرية أحيانا و تتخلل هذه المباني والمنشآت أزقة صغيرة ، إضافة إلى هذه المنشآت تتواجد أسفل القرية منشآت مائية تتمثل في البنايات التي وضعت للعيون (ثلوا) فرد (ثالة)[10].

1-المسكن التقليدي(أخام)بمنطقة بني ورثلان :

أ– تعريف المسكن :

المسكن هو عبارة عن عدة غرف متصلة ببعضها البعض تؤلف لنا وحدة سكنية ضمن بناء كبير[11]، وهو الذي يحتمي فيه الإنسان كيفما كان شكله و نمطه[12] ، وبهذا فالمسكن بمفهومه العام هو كل دار حضري من حجر أو آجر أو خشب ، وكل خيمة بدوية من جلد أو صوف أو وبر[13]مصداقا لقوله تعالى : " و الله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، و جعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم و يوم إقامتكم ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثا و متاعا إلى حين " [14].انظر صورة 01

صورة رقم 01 **مجموعة من المساكن التقليدية بمنطقة بني ورثيلان**

[10]عبد الكريم (عزوق) ، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية دراسة أثرية ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتراه دولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر،2008/2007، ص 34.

[11]غالب (عبد الرحيم)، موسوعة العمارة ، ص 92.

[12] محمد الطيب(عقاب)،" المسكن التقليدي في القبائل الصغرى" ، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة،ع12 السنة ،2002م،ص 37

[13] رزق (محمد عاصم)، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ط1،2000،ص38.

[14] الآية 80 من سورة النحل.

ب- لمحة عن المسكن التقليدي و ملاحقه : عرف المسكن التقليدي بشمال إفريقيا عدة تطورات هامة، حيث صاحبه التطور الحضري عبر العصور باعتباره تأثر بفعل تفاعل و تتابع الحضارات المختلفة و تلاقيها كالحضارة الليبية المحلية و الفينيقية و البونيقية و الإغريقية الرومانية [15]و البيزنطية و الإسلامية.

ب – أقسام المسكن التقليدي الريفي :

ينقسم المسكن التقليدي الريفي إلى قسمين هما: غرفة السكن، والإسطبل، لا يفصل بينهما حاجز، بل يرتفع مستوى أرض القسم الأول عن مستوى أرض القسم الثاني بحوالي 0.75م، فهذا المسكن من النوع الذي نجد فيه مأوى لكل أفراد العائلة والحيوانات الأليفة تحت سقف واحد ومن الملاحظ غالبا ما يكون مستطيل الشكل ، وينقسم من الداخل إلى ثلاثة أقسام :

- جزء مخصص لسكان المنزل و أفراد العائلة المسمى "بثغارغرفث" أو"أقنس" والذي يأخذ حوالي الثلثين من المساحة الكلية للمنزل.
- يسمى الجزء الثاني "أدينين" والذي يأخذ الثلث من المساحة الكلية.
- يوجد فوق الجزء السابق الجزء المتبقي والذي يدعى "ثاعريشت" أما بالنسبة للمقاسات فهي تختلف من منزل إلى آخر، أما عن الملاحق الخارجية المكونة للمنزل، فتتمثل في السقيفة (أسقيف) و الفناء (أمراح ، أفراق) .و تتمثل أقسام المسكن فيما يلي:

1_ الباب (ثابورت) :

يمثل المدخل الرئيسي المخصص لكل من الإنسان و الحيوان معا ، ويطلق عليه أيضا الباب الشرقي ، هذا ما يدل على توجه المساكن في منطقة القبائل نحو الشرق. وهو باب مركب من مصرعين لا ينفتحان إلا عند وصول الأحمال، و إلا يفتح باب صغير ضمن أحد المرعين و هي "تاخوخت"يليه منخفض انحداري نصف دائري يكون بعرض أحد اللوحتين الخشبيتين الذي ينتهي بفتحة صغيرة لتصريف المياه المعروفة بمصطلح ثازوليغث[16] .انظر صورة 02

[15] شنيتي (محمد البشير)، "المسكن التقليدي في شمال إفريقيا قديما"، مجلة الدراسات الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر،العدد،01، 1421هـ/2001م، ص13.

[16] مليكة (مكاس)، المرجع السابق ، ص65

صورة 02 المدخل (ثابورث أوفراغ)

2_ **العتبة(أمنار)**:هو الحد الفاصل بين المحيط الداخلي و المحيط الخارجي للمسكن إذ يبلغ ارتفاعه بين 25 و30 سم والهدف منه منع دخول مياه الأمطار إلى المنزل. ، كما اعتبر الحد الفاصل بين العالمين الداخلي والخارجي.أنظر صورة03

صورة 03 العتبة(أمنار)

3_ **السقيفة(أسقيف)**:

تلي مباشرة المدخل الرئيسي للمنازل التابعة لمختلف العائلات و تتخذ كل من الشكل المستطيل و المربع، يستعملها كل العائلات القاطنين بهذه المساحة حيث ينزلون الأحمال على الدكانتين تعرف "بإكدانن" أو "تصداريين" الموجودتين على الجانبيين.وهي عبارة عن حلقة وصل ما بين الغرباء و أهل الدار قبل الترحاب بهم إلى دار الضيف (تاغرفت).انظر صورة 04

صورة 04 السقيفة (أسقيف)

4_الصحن(أفراق أو أمراح): وهو الفراغ المكشوف وظيفته هي التخفيف من حدة درجات الحرارة، و إدخال التيارات الهوائية الباردة التي تعمل على تخفيض درجة حرارة الجو صيفا. و الصحن هو الفناء رمز الحياة و الحلقة المميزة لكل العمائر الدينية و المدنية الإسلامية و قلب المبنى و جوهره[17]، و العصب الحيوي في المسكن الأصيل.[18] تفتح عليه النوافذ و الأبواب لتزويد الفضاء الداخلي بالهواء و الضوء.انظر صورة 05

صورة 05 **الصحن(أفراق أو أمراح)**

5_البيت(ثاقاعتس أو أوونس أو ثغارغرفث) :

هو مربع الشكل تقريبا وهو الجزء المخصص للنوم والأكل والطبخ و اجتماع أفراد العائلة،ترتفع أرضيته قليلا عن عتبة الباب الرئيسي "أمنار" بحوالي شبرين و تكون مغطاة بملاط من الطين يضاف إليه فضلات البقر و قليل من التبن لتساعد على تماسك الطينة و عدم تشققه و تصدعه، ثم يقام بتمليسه

[17]جودي (محمد حسين)، العمارة العربية الإسلامية خصائصها و آثارها في سوريا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1974،ص 43

[18] عقاب(محمد الطيب)، لمحات عن العمارة و الفنون الإسلامية في الجزائر،مكتبة زهراء الشرق،1990،ص 106.

بواسطة حجرة ملساء وهذا بنفس طريقة تمليس الفخار، يتراوح طول هذا الجزء ما بين 03الى 05 متر و معدل المساحة تقدر مابين 15الى 20متر مربع.

و غالبا ما تقوم النساء بهذا العمل. يخصص هذا الفضاء أي ثغرغرت للإنسان و يشكل المسرح الذي تمارس فيه الكثير من النشاطات اليومية، ويتركب هذا الجزء من عدة عناصر: أدكان ، ثغميث أزطا ، إكوفان. انظر صورة 06

صورة 06 **البيت(ثاقاعتس أو أوونس أو ثغارغرفث)**

6_ المخزن العلوي(تاعريشت أو ثاكنا) :

هو الجزء الموجد فوق أدينين ، هذا القسم المخصص لحفظ بعض المأكولات والأغطية ويستعمل كذلك للنوم والقيلولة في الأيام الحارة ، ويكون مهيأ بالألواح ويتم عزله عن الأنظار بواسطة اكوفان ، له باب يطل على ثادكانت أو ثغميث و مقابل لثاقاعتس ، لديه فتحات و أحيانا نوافذ صغيرة للتهوية و تنعدم في بعض المنازل .

أما عن مقاساته فله نفس الأبعاد مع أدينين كونه يتواجد مباشرة فوقه إلا انه يختلف في العلو ، يصل طوله ما بين 03 إلى 05 م و عرضه كذلك و علوه ما بين 1.5 م إلى 1.7 متر و يختلف هذا الجزء من منزل إلى أخر ، و يكون ملبس بنفس طريقة ثاقعتس.[19]انظر صورة 07

[19] مليكة(مكاس)، المسكن التقليدي بقلعة بني عباس ببجاية دراسة تاريخية أثرية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار ، ج2 ،2009/2008،ص 65.

صورة 07 **المخزن العلوي(تاعريشت أو ثاكنا)**

7_ **الإسطبل(أدينين)**: هو الجزء المخصص للحيوانات كالمعز والخرفان والبقر، يحتل الثلث المتبقى من مساحة أخام و هو قسم منخفض عن ثاعريشث، يفصل بينهما نصف جدار تترك فيه بعض الفجوات يراقب منها صاحب الدار الحيوانات في مربطها و أرضيته مبلطة بواسطة بلاطات حجرية مختلفة المقاسات، بها بالوعة للتطهير. ولهذا الجزء نفس الأبعاد في الطول والعرض مع الجزء السابق أما العلو لا تتجاوز 1.80م، ويكون مقابل لأوونس وتحت مستواه. كانت هذه الحيوانات تستعمل في الحياة المعيشية اليومية من الفلاحة و استعمالات يومية أخرى و هي رمز من رموز الغناء.[20] انظر صورة 08

صورة 08 **الإسطبل(أدينين)**

8_**المذود** : وهو المكان المخصص لوضع الأكل أي العلف للحيوانات ، و هو عبارة عن فجوات يصل عددها من ثلاث إلى أربع ، وعادة ما نجده تحت ثدكانت مباشرة أو في أحد الجدران المكونة للأداينين، أما تسمية المذود معروفة بهذا المصطلح في كل المناطق الريفية .صورة رقم 09

[20] عزوق(عبد الكريم)، المرجع السابق،ص118.

صورة رقم 09 **المذود**

الملاحق: يضم المنزل التقليدي بهذه المنطقة الكثير من التجهيزات التي يستخدمها افنسان في حياته اليومية نذكر منها:

1_ لكدر:

يطلق على الدكانة المرتفعة عن مستوى الأرضية الواقعة في ثغرغرث بالجهة الشمالية لها غالبا ، ويتكون من مجموعة كوات معروفة بمصطلح ثيكواثين و رفوف مستطيلة أو تنتهي بأقواس تستخدم كمخزن لكل ضروات الطهي من أواني و توابل و جرار صغيرة لحفظ الزيت و مادة الزبدة (ثقست)، وهو يبنى من طرف النساء .اظر صورة رقم 10

صورة رقم 10 لكـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدر

2_ الكانون : عبارة عن حفرة دائرية محاطة بثلاثة أحجار متوسطة الحجم مشكلة مثلثا تسمى إنّين توضع عليها القدر عند الطهي[21]،و يمكن أن يكون للمسكن الواحد كانونا أو اثنين [22] الأول خاص بالطهي و الثاني ينتهي بمدخنة خاص بالتدفئة و يعتبر مكان تجمع و التقاء أفراد الأسرة الخاصة في

[21] Missoum(S),une maison berbère au village d'Ait Lahcen,Alger,SD,p130.
[22] Ibid, p129.

فصل الشتاء للمناقشة و سماع القصص و الحكايات بهدف التسلية و التعلم، و هي فرصة لتعزيز و توطيد العلاقات بين أفراد الأسرة. انظر صورة رقم 11

صورة رقم 11 **كانون محفور في الأرض**

3_ ثدكانت :

هي الفاصل الموجود بين أدينين و ثغرغرث المقابل للكدر، و المبنية من الحجارة المتبقية بعد إتمام بناء الجدران من طرف البناء حيث ينتهي بدرجة أولى تسمى بتصدارت التي تحتوي على كوات ، إذ تسمح لنا بالاتصال بتاعريشث عبر درج ثان يكون إما بتجويف دائري أو بحجرة بارزة في الجدار، و هي كذلك بمثابة سرير ينام عليه صاحب الدار.

4_ إيكوفان :

عبارة عن دنان كبيرة من الطين غير المحروق على شكل دائري أو مربع وهذا حسب المناطق ، وهي بأحجام مختلفة بحيث توضع فوق ثدكانت كما نجد ايكوفان أيضا على جانبي لكدر المقابل لثادكانت، والتي تخصص لحفظ الغلال الجافة (القمح،التين، الزيتون ، وغيرها). وهي من صنع المرأة التي لها انجازات أخرى تقوم بها مباشرة بعد لانتهاء من تشييد المسكن متمثلة في وضع اللمسات الأخيرة في تمليس الأرضية بعد تبليطها و تغليس الجدران بطبقة من الطين المضاف إليه كمية من رماد التبن و فضلات الأبقار كي لا يتشقق. انظر الصورة رقم12

صورة رقم12 أكوفي (إيكوفان)

5_ ثاركنت أوزطا :

عبارة عن مكان مخصص لنسج الزرابي ، الألبسة و الأغطية ، التي نجدها عادة بثغرغرث بالجدار الغربي المقابل للجدار الذي يحوي المدخل الرئيسي و نافذة صغيرة كما يطلق عليه مصطلح ثخراجيث ، إذ تحتوي ثاركنت أوزطا على نتؤات من الأوتاد الخشبية و كذا كوات لوضع لوازم الخياطة والنسج . انظر صورة رقم 13

صورة رقم13 ثاركنت أوزطا

6_الرحى(ثسيرت أوبلاط): هي أداة حجرية يدوية لطحن الحبوب الجافة المختلفة.

دراسة نماذج من المساكن التقليدية بمنطقة بني ورثلان :

- النموذج الاول :

نجد هذا المسكن بقرية (الشرفة وادا) بمنطقة بني ورثلان يقع في الجهة الشمالية الشرقية للقرية غير بعيد عن الجامع يتميز بالاتساع من المحتمل أن يكون ملكا لأحد أعيان القرية تخطيطه قريب من المربع أما مظهره الداخلي بسيط بساطة الحياة الريفية.أنظر صورة رقم 14

الصورة رقم 14بيت من بيوت قرية (الشرفة وادا)

أما مظهره الخارجي فهو خالي تقريبا من الفتحات فتظهر لنا بشكل أصم يحتمل أن المدخل احتوى على باب ذا مصراعين وهذا من خلال الآثار المتبقية للأسوار يصلنا المدخل مباشرة بالسقيفة المستطيلة الشكل والتي تحتوي على مقعد حجري أو دكانة (ثدكانت) خصص لاستراحة الضيوف وأهل البيت تتصل بصحن (أفراق) تتوزع حوله الغرف وهي مربعة الشكل تقريبا أول غرفة تقابلك مباشرة هي القسم المخصص للحيوانات (أداينين) تعلوها غرفة مخصصة للضيوف يصعد إليها بدرج به أربعة درجات ثم يتصل السلم بست أعمدة خشبية نجد بها باب خشبي صغير يفضي إلى الغرفة العلوية (ثاعريشت) وفي الأسفل نجد القسم المخصص للحيوانات (ادينين) به باب خشبي وبجوار هذه الغرفة نجد غرفة ثانية بها مجموعة من الكواة (ثكواوين) و بعض الأعمدة الخشبية المخصصة لتعليق الأغراض والملاحظ كذلك وجود فتحة تتصل بالغرفة المجاورة ولكن سدت هذه الفتحة أما عن الغرفة الثالثة فتعد من أهم الغرف (ثاقعتس ، أوقنس) بها عناصر وظيفية مهمة نجد خزانة جداريه مقسمة إلى وحدات والسطح أفقي لوضع الأواني يسمي هذا (لكدر) وعلى جانبيه نجد مكان مخصص لجرار كبيرة الحجم تسمى (اكو فان ، ثكوفيث) تثبت مباشرة بمكانها فهي تبقى موضوعة في مكانها تحتوي على فتحة دائرية لإخراج المئونة . ليس بعيد عن لكدر نجد مكان توضع الموقد والذي هو عبارة عن حفرة على شكل مثلث يسمى (كانون) كما نجد المكان المخصص للنسيج (أزطا عادة ما يكون في الجدار الذي به الباب وذلك لوجود بعض الحلقات الحديدية والأوتاد المثبتة على الجدار كما نجد العديد من الكواة والأوتاد المخصصة للتعليق الأغراض كما نجد فتحة للإنارة والتهوية أما عن الكوة هنالك كوة دائرية الشكل وعميقة من الداخل بشكل سري حيث يعتقد انه مخصص للأغراض المرأة فقط خاصة الحلي ، نجد بالغرفة سرير للجلوس و به من الأسفل وحدات تشبه الكوة كما نجد بالجدار الفتحة التي تتصل بالغرفة السابقة كما ذكر وعلى الحائط نجد ثلاث سلالم للصعود

توجد غرفة أخرى ترتفع عن مستوى أرضية المنزل يصعد إليها بدرجتين بها باب خشبي تحتوي على سرير أو دكانة بالغرفة فتحة تطل على السطح كما تحتوي على بعض الكواة ، يعتقد أن هذه الغرفة مخصصة لرب الأسرة خاصة لما يكون بحاجة إلى الخلو بنفسه.

تقابل هذه الغرف غرفة صغيرة بها نافذة تطل على الفناء كما تحتوي على موضع مخصص لوضع الأواني . سقف المسكن كغيره من المساكن بالقرية بالسقف الجملوني وضع فوقه القرميد (أقرمود) واستعملت الحجارة المحلية وخشب شجرة الصفصاف (القنطاس) والبلوط و العرعار والزيتون كما استعملت بعض الأغصان والنباتات في التسقيف وشكلت بطريقة على شكل ضفائر أما عن الأبواب كانت مطلية باللون الأزرق وهذا لأنه اللون المريح للعين ويطرد الحشرات ، وهذا اللون يستخلص من مادة النيلة .

-**النموذج الثاني** :يقع هذا المسكن بقرية مزين في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية،أنظر صورة رقم 15

صورة رقم 15 مدخل البيت بقرية مزين

يحتوي على نفس الملاحق المكونة للمنازل التقليدية الريفية والمنزل السابق غير أن الجديد في ذلك أنه احتوى على طابق ، نجد بالمدخل باب كبير ذا مصراعين بلون أزرق وصل هذا الباب بقضيب حديدي مثبت بواسطة حلقة حديدية على الجدار ندخل مباشرة إلى السقيفة مستطيلة الشكل من الجهة اليسرى للسقيفة نجد غرفة مستطيلة الشكل تخلو من العناصر المكونة للغرفة ومن السقيفة نجد فناء الدار والذي تتوزع حوله الغرف نجد به الدرج المفضي إلى الطابق الأول والذي احتوى بدوره على غرفة واحدة بها نافذة وكذلك نجد بجانب الغرفة مكان واسع وفارغ يشبه الشرفة ولكنه مسقف نجد خمس درجات بالسلم أما عن الطابق الأرضي احتوى على ثلاث غرف الأولى على يسار السقيفة أما الثانية مخصصة للنوم فقط حيث نجد بها نافذة للإنارة والتهوية وهي مربعة الشكل أما الغرفة الأخيرة فهي تنقسم إلى قسمين القسم الأول يسمى أوقنس والقسم الثاني أدينين والذي هو الآخر يحتوي على قسم علوي والذي يسمى ب (ثاعريشت) نجد بالغرفة (ثاقعتس ، ثاغرغارث ، أوقنس) كل من (لكدر، كانون، ثدكانت ،

اكوفان ، ثكواوين ، ثصدارت) ولكن الجزئين المتمثلين في أدينين وثاغرفث لا يفصلهما جدار بل وضعت بينهما دعامة كبيرة كحاجز للفصل ، كما وجد درج يلحق الى الغرفة العلوية (ثاعريشت).أما عن المقاسات موجودة بالمخططات فستلحق في ما بعد .

عمارة المساجد بالمناطق الريفية :

تولى المعماري البسيط بالأرياف عمليات البناء و التصميم للمساجد، وتمكن من الوصول إلى درجة من الإبداع بشكل تلقائي بما توفر لديه من مادة أولية معتمدا على حدسه و تجربته و انتمائه الاجتماعي و الديني، حيث لم يطلع هذا المعماري في بداياته على نظريات الفنون و العمارة، رغم ذلك استطاع أن يشكل نمطا معماريا خاصا و مميزا، و للبيئة المحلية أثر كبير في ذلك إذ ساهمت في تشكيل هذا النوع من العمارة، رغم ذلك لا يمكننا أن ننكر أن هذه المساجد على العموم لا تختلف في جوهرها عن المساجد الإسلامية رغم إنفرادها ببعض المميزات.[23]

يعد المسجد من أهم المباني الدينية سواء في المدينة أو في القرية الإسلامية لما يؤديه من دور فعّال في حياة المجتمع المسلم عامة، و لا نكاد نجد قرية من القرى القبائلية، تخلو من عنصر لمسجد بل كان ضروريا ضمن التخطيط العام للقرية، ففضلا عن دوره الديني فإنه يؤدي كذلك مهاما لا تقل عن ذلك إذ يعد مقرا لممارسة وظيفة التعليم و التربية، و كذلك مكانا للقضاء و إصدار الفتوى، و من هنا فإن المسجد يعد القلب النابض للقرية يبعث فيها الحياة و يعمل على تأطير المجتمع القروي دينيا و تربويا، و تأتي أهميته في القرية بعد عنصر الماء، و انطلاقا من هذا كله حرص سكان القرية على إعطاء النكانة اللائقة للمسجد إذ نجده يحتل قلب القرية و حوله تشيد المسكن و الدور و المباني العامة بحيث تنتهي كل طرق و مسالك القرية إليه.[24]

دراسة وصفية لجامع بقرية (شلحاب أمقران) :

يقع الجامع في قمة قرية شلحاب أمقران ومعناها الكبيرة ، يشغل مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب يضم قسمين المستوى أرضي، و الطابق العلوي و به بائكة ذات أربعة عقود و هي عبارة على رواق يمكن اعتبار هذا الجزء كمقدم للمسجد مستطيل الشكل، و أيضا للدلالة على اتجاه القبلة. مسقوف يتقدمه صف من العقود النصف الدائرية تقوم على أعمدة مربعة الشكل، و حسب الروايات الشفوية فإن هذا الرواق كانت تقام فيه الصلوات أيام رمضان و الجمعة و العيدين عندما يكثر المصلون بالمسجد، وكذلك كان يستعمل كمكان لاجتماع أعيان القرية لحل النزاعات و مختلف القضايا بين الناس.أنظر صورة رقم 16

[23] ليهم زينب،المساجد الريفية بمنطقة بجاية دراسة أثرية معمارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الريفية و الصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2010-2011، ص 23.

[24] ليهم زينب ،المرجع السابق،ص23.

صورة رقم 16: الواجهة الرئيسية لجامع شلحاب

ندخل الجامع عن طريق مدخلين، يقعان باتجاه القبلة،كما يتوسط هذين المدخلين نافذتين تقومان بإدخال الضوء إلى بيت الصلاة يعلو كل واحدة منهما عقد ضحل(أقل من نصف دائرة).

نجد بالرواق بابين يؤديان إلى قاعة الصلاة السفلية والتي تضم محرابا مجوفا و بارزا للخارج به فتحة في الأعلى يشير منهما الإمام إلى المؤذن ليرفع صوت الأذان عندما يحين وقت صلاة الجمعة ، كما نجد على يمين المحراب، كوة لحفظ المصاحف ووضع الشموع للإنارة ، بالإضافة إلى وجود نافذة يعلوها عقد.

سقفت قاعة الصلاة السفلية بتسعة عوارض خشبية وضعت بشكل عرضي ، وضعت فوقها أغصان خشبية من العرعار لتوفره بالمنطقة، بطريقة مشبكة على شكل السنبلة،أوالضفيرة، أضف إلى ذلك وضعت فوق الأغصان حجارة رقيقة ومادة الملاط لتسوية أرضية القاعة العلوية.

أما بالجدار الشمالي للجامع، فحوى أدراجا حجرية مؤدية إلى الطابق العلوي للجامع.أنظر صورة رقم 17

صورة رقم 17:أدراج حجرية مؤدية إلى الطابق العلوي للجامع

يتقدم هذا المسجد رواق مستطيل، به بائكة تضم أربعة عقود نصف دائرية. أما الجدار المقابل الذي يمثل الجدار الخلفي للرواق و واجهة القبلة لبيت الصلاة، به حنية محدودبة بارزة نحو الخارج تعلوها فتحة مستطيلة الشكل للإضاءة و التهوية.

بجانب الجامع نجد جناحين من الجهة الشمالية و الجنوبية، فحوى الأول مقعدا لجلوس المصلين يعلوه عقدان مفتوحان هذا من جهة، و من جهة أخرى، فنجد الثاني به غرفة مربعة الشكل صغيرة مستعملة كميضأة للمصلين حسبما يتداوله أهل المنطقة، سقف الرواق بمادة القصب الموضوع فوق أعمدة خشبية، وضعت متباعدة نوعا ما، وهذه الأخيرة وضعت بدورها فوق عارضتين خشبيتين بشكل طولي و أخرى بشكل عرضي. و الملاحظ هو أن البناء جعل ملاط فوق القصب قبل أن يضع القرميد. أنظر صورة رقم 18

صورة رقم 18 سقف رواق الجامع

يتم الدخول إلى بيت الصلاة العلوية عن طريق مدخلين رئيسيين فأما الأول فيقع في جدار القبلة إلى أقصى يمين المحراب.أما الباب الثاني، فيقع إلى أقصى يسار المحراب. ، شكل القاعة مستطيل يتألف بيت الصلاة من أسكوبين موازيين لجدار القبلة و ثلاث بلاطات عمودية على نفس الجدار. تتكون البلاطات و الأساكيب عن طريق صف من الأعمدة تحمل عقودا نصف دائرية .

يتوسط جدار القبلة محراب مجوف، تجوفته نصف دائرية و تنتهي التجويفة في الأعلى بحنية ذات عقد نصف دائري. يعلو الحنية فتحة مستطيلة الشكل مطلة على الرواق الأمامي لغرض التهوية و الإضاءة ، و بالمحراب زخارف هندسية بسيطة كما تكتنفه كوتان جداريتان الأولى الواقعة بالجهة اليمنى منه و الثانية بالجهة اليسرى المعقودتين بعقدين نصف دائريين، استعملتا لغرض وضع وسائل الإنارة. نجد بيمين المحراب، المنبر متمثل في درجتين و هذا لنوع من المنابر ميزة من مميزات المساجد الريفية و بعض المساجد الصحراوية خاصة في منطقة الأغواط[25]. يعلو المنبر من الجهة اليمنى لوحة جدارية مسطحة، و حسب الروايات الشعبية، فإنها تستعمل كمكان يضع عليها الإمام أوراقه عند إلقاء الخطبة على المصليين، كما توضع عليها مصابيح الإنارة، و وجود المنبر في هذا المسجد يؤكد بأنه كان مسجدا جامعا تؤدى فيه صلوات الجمعة و العيدين.

وقد سقفت القاعة بالقصب الذي تحمله ستة عوارض خشبية وضعت بشكل طولي، تجدر الإشارة أن سقف الجامع وضع بشكل سنمي.

ما لاحظناه أيضا هو أن عنصر الصحن نادرا ما نجده في المساجد الريفية، و إذا ما كان، فيكون عبارة عن مستطيل يتقدم بيت الصلاة و الرواق الذي يليه فقط و يحيط به جدار مبني بالحجر و الطين لا يتعدى ارتفاعه 1متر و يتم الدخول إليه عبر باب من الخشب و أرضيته من الطين.

[25] عزوق عبد الكريم، المرجع السابق، ص 39.

بني الجامع بمواد محلية ، تتوفر بالمنطقة كالحجارة المختلفة الأحجام و كانت أساسا في بناء جدران الجامع ، وقد تم ضمها بواسطة الملاط الذي يتكون من التربة البيضاء والحجارة الصغيرة كما كسيت الجدران بمادة الجص و استعملت مادة الخشب في التسقيف على شكل عوارض خشبية بالإضافة إلى مادة القصب.

_ دراسة وصفية لجامع بقرية (شرفة أفلا) :

كغيره من المساجد الجامعة الموجودة بالقرى ذا تصميم معماري متشابه تقريبا طريقة تسقيفه بشكل سنمي توضع علية قطع القرميد سقفت بأشجار الموجودة بالمنطقة كالصفصاف والبلوط والعرعار وكذلك القصب وبعض النباتات والأغصان يتم الدخول إلى الجامع عن طريق مدخلين نجد بالمسجد ساحة كبيرة أو فناء تقابلك مباشرة الواجهة الأمامية للمسجد والمتمثلة في بائكة مكونة من خمسة عقود متصلة بأربع دعامات و تظهر لك حنية المحراب تتوسط الجدار المقابل للبائكة والجهة الخلفية لجدار القبلة ، يتقدم بيت الصلاة رواق يحتوي على دكانتين طرفيتين كما نجد فتحة بالجهة الخلفية للمحراب لها وظيفة معينة وهي أشعار الإمام وإبلاغه دخول وقت الصلاة .أنظر صورة 19

صورة رقم 19 الواجهة الأمامية لجامع الشرفة أفلا

يحتوي الجامع على غرفة مربعة الشكل بها نافذة خصصت هذه الغرفة للتدريس ومن الجهة الخارجية للمسجد نجد كذلك باب خشبي مزخرف بزخارف هندسية ومحفورة يفضي الباب إلى غرفة خصصت لعابري السبيل ، أما عن بيت الصلاة فهي مستطيلة الشكل بها مدخلان يحتوي على باب ذا مصراعين ونافذتان تطلان على الجهة الخارجية للمسجد نجد ببيت الصلاة أسكوب واحد وبلاطتان نجد ببيت الصلاة عمود أسطواني و بالجدار الشرقي نجد المحراب عبارة عن تجويف نصف دائري وعلى جانبيه كوات مخصصة لحفظ الكتب في الجدار الجنوبي نجد دكانة

مما سبق من كل ما تقدم أن سكان منطقة الريف عموما، و منطقة بني ورثيلان قد تميزت بعمارة متميزة خاصة بالمنطقة الجبلية، و قد لاحظنا استيفائها لكل متطلبات المجتمع الريفي و أنها تمتاز بعمارة مطابقة للبيئة المحلية، فهي انعكاس لها استغل الإنسان ما توفر من مواد لبناء مساكنه و مساجده دون أن ننسى الملامح الفنية التي تزخر بها أبواب المسكن و التي تتصل بالتراث الجزائري شماله و جنوبه التي تمتد جذوره إلى عصور موغلة في القدم.